جامعة فيلادلفيا
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

الخطاب الديني الشفاهي وأثره في الدفاع عن المقدسات

"خطب المسجد الأقصى نموذجاً"

إعـــداد
د. أمين سعيد أبو ليل
أستاذ مشارك

ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر
"الثقافة العربية بين الشفاهية والكتابية"
٦–٨ إبريل ٢٠١٠

مقدمـــة:

إنّ الثقافة العربية المعاصرة لا تزال تتحاشى التعامل مع الآداب الشفاهية لأنها لم تصل بعد – رغم الجهود المبذولة – إلى منهجية واضحة في الدراسات الشفاهية من مثل الآداب الشعبية بموروثاتها الحضارية في الوقت الذي سعت فيه الدول المتحضرة إلى إيجاد صيغ التعاطي مع الأدب الشفاهي، وسبقتنا بعقود كثيرة، خلصت من خلالها إلى معرفة طبيعة العلاقة والفروقات القائمة بين الآداب الشفاهية والكتابية ووصلت إلى نتيجة مؤداها أن الكتابة استطاعت أن تترك أثراً في تطوير الأجناس الأدبية وتحويرها، وأحدث من خلال ذلك تحولات في طبيعـــة الأدب وسياقاته الإبداعية، وأظهرت الدراسات عمق التحولات بين المبدعين والمتلقين.

ونشأت الكثير من الدراسات التي تبين مدى تأثير القراءة والكتابـــة فـــي مـــضامين الأدب ووظائفه الاجتماعية، وطرق إنتاجه، ووسائل تناوله وتلقيه، مما دفع بالمختصين إيلاء السمات الفنية والذهنية والنفسية أهمية خاصة لهذه السمات، فميزوا بين عصور الشفاهة عن العصور التي شاعت فيها الكتابة، وحلّ التدوين محلّ الذاكرة في استظهار النصوص فقاموا بـــالتوثيق خشية الزلل أو النسيان.

وتطورت الدراسات إلى محاولة إدراك كنه وسائل المعرفة والإدراك عند الإنسان، وبحثت الدراسات في بنية الذاكرة البشرية ، وطرق أدائها لوظائفها، ومعرفة كيفيـــة اختـــراق الأمـــم لمعارفها وتناقلها عبر الأجيال ، بعيداً عن وسائل التدوين المعهودة. ومن البدهي بمكـــان أن الآداب الشفاهية تختلف من بيئة لأخرى ؛ فأدب المجتمعـــات الرعويـــة يختلـــف عـــن أدب المجتمعات الزراعية، وأدب المدينة يغاير أدب القرية، وأدب المجتمعـــات القارئـــة يختلـــف بالضرورة عن أدب المجتمعات الأمية ، لذا فالأدب الشفاهي يختلف عن الأدب المكتوب بسبب التغيرات الحضارية والبيئات الاجتماعية ووظائفها، واختلاف البنى الفنية في اللغة والأسلوب، وفي عمليات النظم والأداء، والتلقي والتداول.

كما نلمح اختلافاً واضحاً بين النصوص الشفاهية عند المؤدي الشفاهي في مفهومه لقـــضايا الإبداع والتجديد ؛ لأنه محكوم لأُطر تتحكم في إنتاجه ، وتوجّه طاقاته، ومـــن هـــذه الأطـــر الظروف الاجتماعية والسياسية وغيرها.

لذا لا نتوقع تشابهاً بين الموروث الشفاهي والموجود الكتابي ؛ لاختلافهما شكلاً ومضموناً، ولعدم حاجة المجتمع الكتابي لكدّ الذهن لحفظ أمور مدوّنة ، علماً بأن مشكلة حفظ المــوروث الشفاهي تلقي على كاهل الذاكرة في المجتمعات الشعبية عبئــاً ثقــيلاً، لحفــظ النــصوص و ترويجها،

ولا أحاول هنا أن أغمز في قناة المدوِّنين ، فهم أصحاب ذاكرة لا نستطيع تناسيها، والقصد أن النصوص الشفاهية تحتاج إلى أسلوب أسهل، وألفاظ أكثر سلاسة، ليكتب لها الرواج من خلال استرجاعها وتذكرها.

لذا عمدت إلى الكتابة عن الخطابة الدينية، وأثرها في المجتمعات الإسلامية، مــن خــلال نماذج خطابية في عصور الإسلام الأولى ، حتى بلغت الخطابة أوجها في التحريض ضد قوى البغي والاحتلال، وأوردت بعض النماذج الشفاهية التي انطلقت من على منبر صلاح الــدين الأيوبي في بيت المقدس ، ودورها الفاعل في إثراء حركة المقاومة للاحتلال .

الباحــث

توطئة تاريخيّة :

يعتبر أرسطو أول من وضع كتاباً منظماً وافياً في فن الخطابة ، و هذا لا ينفي وجود محاولات جادّة سبقته. و سبب الإصرار من جانب الإغريق على هذا الفن أنّه وليد الديمقراطية ومحقّقها ، لأنه يرى أنّ المواطن له الحقّ في إبداء رأيه في الشؤون العامّة ، و لا سيّما شؤون الدولة السياسيّة ، و الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وما تؤول إليه نتائج الصراعات الحزبيّة مع الآخرين، ويذهبون إلى أبعد من هذا من إحساسهم بحقّهم في اتّهام الحاكمين، أو ذوي السلطة و الجاه، و يرون حقّ هؤلاء في الدّفاع عن أنفسهم، سواء أكان في المحافل العامّة، أو المجالس المخصّصة (مجالس الشورى أو الأعيان أو النّواب ...) أو في المحاكم أمام القضاة و المحلّفين .

لذا بات من الضرورة بمكان التسلّح بالخطابة ؛ لأنّها فنّ الدفاع و مقارعة الخصوم، و فنّ الإقناع،وتتفاوت قدرات الخصوم، فقد يكون أحدهم أقوى في حجّته من خصمه ، فيحكم له بما عليه، لذا لجأ البعض إلى التعويض عن الافتقار إلى القدرة بواحد من أمرين ؛ إمّا أن يكتب الخطبة و يلقيها أو يتولّى أصحاب القدرة في الحجاج، والمنطق الكتابة، و يتولّى صاحب الشأن الإلقاء ، لذا نشأت مهنة الخطابة في بلاد الإغريق و أضحت من سُبُل رغد العيش، أو بلوغ السلطة و النفوذ .

ويرجّح أرسطو[1] نشأة الخطابة في جزيرة صقلية في القرن الخامس قبل الميلاد، و كانت تؤلّف جزءاً مما كانت يسمّى " بلاد اليونان الكبرى " ، و أرجع دوافع نشأة هذا الفن، إلى أنّ مواطني صقلية رفعوا قضايا مدنيّة، مطالبين باسترداد ممتلكاتهم التي صادرها الطغاة، وذلك بعد الخلاص من الحقبة الظالمة (سنة ٤٦٧ ق.م)، وكان عامّة النّاس لا يستطيعون عرض دعواهم، فاستعانوا بمن هم أقوى منطقاً، و ألزم حجّة ، و أنصع بياناً، وأقدر على الإقناع لتولي إقامة الدعاوى والمرافعات، و

وقع الاختيار على بعض من يتمتّعون بهذه الصفات، ومن أبرزهم؛ (قورقش ولسياس)وكلاهما من "سرقوسة " في صقيلية، ويرى أرسطو أنّ هذين الرجلين هما مؤسّسا فن الخطابة، و خاصّة الخطابة القضائية.

وقد قدّموا للخطابة قواعد و أصول، منها ترتيب الخطبة، و تقسيمها إلى خمسة أقسام هي: (الاستهلال ، القصّ ، الحجج ، الملاحظات العارضة ، و الخاتمة) [2] .

---

[1] الخطابة لأرسطو، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الرشيد – بغداد ١٩٨٠ ، ص ٨

[2] الخطابة لأرسطو ، ص ٩

و خلفهما " جورجياس "[3] السوفسطائي الشهير ، الذي مارس الخطابة حتّى برع فيها، وجمع حوله المريدين، و كانت طريقته في التكسُّب من هذه الموهبة، بإعداد الخطب ليحفظها المريدون، بغية استعمالها في خطبهم ، من أجل تفخيم دعوى صاحب الدعوى ، أو من أجل التهوين من دعوى الخصوم

وقد اهتمّ بجمال القول من خلال تنميق العبارة، وشحنها بالتأثير الانفعالي، الذي يجذب السامع أو القاضي إلى جانبه، وهدفه من كلّ هذا الانتصارعلى الخصم، وإبطال حججه ، و اعتبره عبد الرحمن بدوي مؤسس النثر الفني اليوناني .

و يعرّف " جورجياس " الخطابة بأنّها (فن القول)[4]. و بهذا الوصف يجعل من يملكون ناصيته بارعين في (الكلام) ، و ما دام الكلام بعيداً عن الفكر، فإنّه يجعلهم أذكياء في شيء ما .

و لمّا كانت قوّة التفكير هي المؤديّة إلى القوّة في التأثير على النّاس، فإنّ فنّ الخطابة:

– و هو فنّ في الإقناع– هو أسمى الفنون؛ لأنّ الخطابة المقنعة أمضى سلاح يملكه السياسيّ للوصول إلى السلطة، فالخطيب المقنع يحمل الجماعة على الموافقة على سياسته، و يُفحم خصومه المتصدّين له، و يدافع عن أنصاره أمام أصحاب الشأن، وهذا الرأي رافقه الكثير من الجدل.

" وكرّس أفلاطون الكثير من وقته، وجهده، إلى وضع قواعد تدريبيّة لتكوين الأسلوب الجيّد في الآداب عامّة، وفي الخطابة خاصّة " [5]،و يجدر بنا إحقاقاً للحقّ، أن نبرز دور السوفسطائيين في الخطابة، إذ استخدموها وسيلة لنشر أفكارهم، ولم تكن الحقيقة ما ينشدون ، لأنّ فلسفتهم قامت على أنّ الحقائق أمور نسبيّة لا وجود لها في عالم دائم التطوّر و التغيّر ، لذا كانت خطابتهم تعتمد البيان المنمّق الأخّاذ، دون الميل إلى الدليل المقنع، والبرهان الملزم، "ممّا حفز سقراط على دراسة الخطابة، وأسّسها على الجدل، وأقامها على الدليل، وبناها على التركيب والتحليل النفسيين، ومعرفة نفسيّة المستمع، ورأى تلميذه أفلاطون أنّ سبيل الخطابة الحقّ هو الخير، وغرس الأخلاق الفاضلة " [6].

---

[3] ربيع الفكر اليوناني ، عبد الرحمن بدوي ط ٤ ، القاهرة ١٩٦٩

[4] الخطابة لأرسطو ، ص ١٤

[5] فنّ الخطابة ، أحمد الحوفي ، ط٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٣

[6] المصدر السابق ، ص ٢٢١

وسار الرومان على نهج أساتذتهم اليونان، فتلقّوا الخطابة في مدارس رومانيّة على أساتذة من اليونان ، و امتلأت روما بالمثقّفين من اليونان بعد سقوط عاصمتهم أثينا على أيدي الرومان (١٤٦ ق.م) .

و جذبت الخطابة كلّ طامح في الارتقاء الاجتماعي و السياسي ، حتّى انحصرت التربيّة العالية في منتصف القرن الثّاني قبل الميلاد في (الخطابة) حتى قال " شيشرون " [٧] (ت ٤٣ ق.م) : " لم يهتمّ الطلبة في القرن الأخير من حكم الجمهوريّة – انتهت ٢٧ ق.م– بدراسة شيء كما اهتمّوا بتعلّم كلّ ما يعدّهم للفصاحة و الخطابة " ، ومن الخطباء (يوليوس قيصر)، القائد الروماني الشهير، ثمّ شيشرون من أشهر خطباء الرومان (١٠٦–٤٣ ق.م) و تلاه كبار الخطباء من الحواريين – أنصار عيسى عليه السّلام – ، ثمّ بقيت بعدهم في رجال الدين المسيحي .

الخطابة عند العرب :

اشتهرت الخطابة الشفاهية عند العرب لكثرة دوافعها من مفاخرة بالأحساب و الأنساب ، والمدافعة عن النفس، والعرض، والمفاخرة بالشعر، والخطب، في الحسب والنسب ، وقوّة العصبيّة ، وكانت الخطابة فيهم فطريّة فرضها الواقع الاجتماعي والقبلي، فلهجت بها ألسنة الخطباء، صيانة لعزّهم وحفاظاً على مجدهم، وتخليداً لحروبهم .

و تثير الخطابة انفعالات تنشأ عن أحداث جسام تمسّ حياة الجماعات ، ونوازل تعرض للشعوب، ولم تخلّ الجاهليّة من حوادث كهذه، فتثور بينهم محاورات شديدة، وجدال عنيف، و كانت لهم أسواقهم ومجامعهم، يعرضون فيها نتاج قرائحهم، ليباهوا بما فيها من بلاغة وحكمة.

و لا عجب أنّ أكثر الخطباء في الجاهليّة ، يقرعون الأسماع بذكر مفاخرهم، ويثيرون العواطف إلى الدفاع عن كرامتهم، وأنفسهم، وأعراضهم، وأحسابهم.

و كثُر تداول الخطابة في مواضع التحريض على القتال ، والتحكيم في الخصومات ، وتحمّل الديّات ، و إصلاح ذات البين ، و المنافرات ، و الوصايا ، و الوفادة على الملوك و الأمراء ،في عبارات رائعة ، و أساليب متينة ، و ألفاظ عذبة ، تستولي على النفوس ، و تأخذ

[7] الخطابة ، نقولا فياض ص ١٦٧

بمجامع القلوب ، و كثرت فيها الفواصل، و الأسجاع ؛ لحسن وقعها ، إلى ما فيها من استرواح الخطيب ، و سهولة تدارك المعاني .

وخطب العرب ضربان [8] : طوال وافية وقصار كافية، ولكلّ مقام ما يليق به، قيل لأبي عمرو بن العلاء: هل كانت العرب تطيل؟ فقال: نعم، ليُسمع منهم، فقد قيل له:و هل كانت توجز ؟ قال : نعم ، ليُحفظ عنهم. وقد مدحوا الإطالة في مكانها، كما مدحوا الإيجاز في مكانه؛ فقد كانوا يستحنون الإطالة في خطب الصلح، وحتّى أنّ قيس بن خارجة بن سنان خطب يوماً إلى الليل فما أعاد في خطبته معنى. و كانت للعرب عناية بسرد الحكم، والأمثال، والنصائح .

و من أشهر خطبائهم : " كعب بن لؤي ، و ذو الإصبع العدواني ، و أكثم بن صيفي ، و عمرو بن كلثوم التغلبي ، و قَس بن ساعدة الأيادي (و كان قسّاً) " ، و قد أجمع علماء الأداب على متانة أسلوبه وأنّه أرعى للحقّ، وأبرّ بالمكارم، وتذكيراً بالموت و أحوال الآخرة ، و سمّيت خطابته بسجع الكهّان .

و من أبرز ما جاء في خطبة **قس بن ساعدة الإياديّ** :

" أيّها النّاس ، اسمعوا وعُوا ، انظروا واذكروا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آتٍ آت ! ليلٌ داجٍ، ونهارٌ ساجٍ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، ألا إنّ أبلغ العظات السيرُ في الفَلَوات، والنظر إلى محلّ الأموات! إنّ في السماء لخبراً ! وإنّ في الأرض لَعبَرًا! مالي أرى النّاس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرَضُوا بالمقام فأقاموا؟ أم تُرِكُوا هناك فناموا؟ يامعشر إياد، أين الآباءُ والأجداد؟ وأين المريض والعوّاد؟وأين الفراعنة الشداد؟أين من بنى و شيّد؟ وزخرف ونجّد ؟وغرّه المال والولد؟ أين من طغى وبغى وجمع فأوعى وقال: أنا ربّكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثر منكم أموالاً ؟ وأطول منكم آجالاً ؟

في الذاهبين الأوّلين من القرون لنا بصائر
لمّا رأيتُ مواردا للموت ليس لها مصادر
و رأيتُ قومي نحوها تمضي الأصاغر و الأكابر
لا يرجع الماضي إليّ ، و لا من الباقين غابر
أيقنتُ أنّي ، لا محالة ، حيث صار القوم صائر ! " [9]

[8] فن الخطابة و إعداد الخطيب ، علي محفوظ ، دار الاعتصام ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص٢٢
[9] صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي م ١ ص ٢١٢

هذا كلّه حدا بالجاحظ أن يقول : " وجملة القول أنّا لا نعرف الخطب إلا للعرب و الفرس " [١٠]. و لغلبة الشعر على النثر في العصر الجاهلي، لسهولة حفظه ، لم يجعـل العـرب يحفظـوا الخطب ، فضاع منها الكثير، ولم يبقَ إلا النذر اليسير .

أمّا الخطابة في عصر صدر الإسلام :

فيرى الترحيني [١١]أنّه نتيجة للمستجدّات الفكريّة التي استحدثها الإسـلام، اضـمحلّت أنواع خطابيّة وتطوّرات أخرى واستحدث البعض، فالمنافرات والمفاخرات رفضها الإسلام ، وقضى على أسبابها ، وهجّن التفكير المفضي إليها ، بالرغم من وجود بعضها ممّا سمعناه من مفاخرة بين المهاجرين والأنصار، بعد وفاة الرسول الكريَم في سقيفة بني ساعدة [١٢].
ومن الخطابة التي اختفت (سجع الكهّان) ؛ لأنّه يحاول الكشف عن المجهـول ، و يـستقرئ الغيب ، و يتنبّأ بالمستقبل .

و لم يبقَ منها إلا خطب بعض المرتدّين عن الإسلام، أمثال مسيلمة الكذّاب الذي أنشأ قرآنـاً مكذوبًا أراد به مضاهاة القرآن، والذي يقول فيه [١٣]: "سمع الله لمن سمع ،وأطعمه الخيـر إذا طمع ، و لا زال أمره في كلّ ما سرّ نفسه يجتمع. رآكم ربّكم فحيّاكم ، و من وحشة خلاّكم ، و يوم دينه أنجاكم ... الخ .
و أمّا الخطابة التي تطوّرت، فهي خطابة الوعظ التي تحوّلت إلى إرشاد ديني، يشمل فلسفة الموت والحياة، وأحوال الخلق، والعودة إلى الخالق، وكان عليّ بن أبي طالب – رضـي الله عنه – في طليعة خطباء هذا اللون ، لما يتطلّبه من دربة ومران ووعـي عميـق، و فكـر موسوعي، إضافة إلى الموهبة التي حباها الله تعالى لعليّ – كرَّم الله وجهه – .

10 البيان و التبيين ، الجاحظ ، ط٣ ، ٢٨ وطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٩٣٧
11 الخطابة و النهج ، فايز ترحيني ، دار النخيل للنشر ، بيروت ، ١٩٩٢
12 جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٣ ، ص ٦٣ و ما بعدها .
13 الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ص٢٤٣

وقد جمع الشريف الرضيّ خطبة، تحت مسمّى (نهج البلاغة) [١٤]. ويجد المطالع لنهج البلاغة، خطباً دينيّة صرفة مستقلّة، ويجد نبذاً منها مبثوثة في ثنايا خطبه، ورسائله، ووصاياه، وعهوده، وحكمه .

و قد تغيّر أسلوب و طرائق عرض خطب الحضّ على القتال طلباً للثأر، وإشباعاً لرغبة سفك الدّماء، وتحوّلت إلى خطب تحثّ على الجهاد في سبيل الله، رفعاً لراية الحقّ، و إعلاءً لكلمة الدّين، و دفاعاً عنه، وتفنيداً للشبهات التي يحاول البعض إلصاقها بالدين . ومن الخطابة التي ظهرت مع الإسلام خطبة الجمعة و العيدين بغية الوعظ والإرشاد، و بيان رأي الدين فيما يستجدّ من أمور حياتيّة .و كان من أصول خطبة الجمعة أن تسبق الصلاة ، و يستحبّ ألا تكون مطوّلة ، التزاماً بقول الرسول الكريم : " أطيلوا الصلاة و أقصروا الخطبة " ...[١٥]

وتستهلّ بحمد الله والشهادة أن لا إله إلا الله ، كما خطب رسول الله – صلّى الله عليه و سلّم – في أوّل جمعة جمعها بالمدينة يقول : " الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره، وأستهدي به، ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أنّ محمداً عبده و رسوله، أرسله بالهدى والنور، والموعظة، على فترة من الرسل، وقلّة من العلم، وضلالة من النّاس، ودُنوّ من الساعة، وقُرب من الأجل، من يطع الله و رسوله فقد رشد، ومن يعصمهما فقد غوى ، وفرّط ، وضلّ ضلالاً بعيداً " [١٦].

أمّا خطبة أحد العيدين فإنّها تلي الصلاة ، و تستفتح بالتكبير، ثمّ الحمد له، وشهادة أن لا إله إلاّ الله : " الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، الحمد لله نحمده، و نستعينه، و نؤمن به، و نتوكّل عليه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له "[١٧].

[14] نهج البلاغة ، جمع الشريف الرضي ، ضبط صبحي الصالح ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٨٣ ص١٢٦
[15] صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربية ، القاهرة ، ١٩١١-١٩١٥ ، ص ٩٣
[16] جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ، مطبعة البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٣٣ ص٥٦ و ما بعدها
[17] عيون الأخبار ، ابن قتيبة الدينوري ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٣ ص٢٣١

و يرى فايز ترحيني أنّ خطابة صدر الإسلام استمدّت بعض سماتها الشكليّة، والأسلوبيّة من الخطابة الجاهليّة ، من مثل اعتمار العمامة، والوقوف على مرتفع من الأرض ، و الاتكاء على عصا أو سيف ، و الاستهلال بقوله : " أمّا بعد " .

و في الأسلوب، بقي الإيجاز و قصر الفقرات ، اضافة إلى جزالة اللفظ، و فصاحة العبارة ، و ضرب الحكم و الأمثال ، و التمثيل بالشعر، مع البعد على التنميق الأسلوبي و البديعي [18].

إلا أنّ الفكر الديني أضاف بعض التعديلات في المعاني و الأساليب، فعمد الخطباء إلى سوق الأدلّة، و البراهين، من القرآن و السنّة، و تفنيد آراء الخصوم، ملتزمة بالبسملة، و إلا عدّت الخطبة (بتراء) مثل خطبة زياد بن أبيه ، و ما لم تتوشّح بآيات القرآن ، و تتزيّن بالصلاة على النبيّ، فهي " شوهاء " [19].

و قد صحبت الإسلام نهضة خطابية، و حركة بيانية رائعة ، لم تعرف في أمّة من قبل حين صدع النبيّ – عليه الصلاة و السلام – بالحقّ، و دوّى صوته الكريم في بلاد العرب، المعارضين لدين الله ، و تجرّد الخطباء للردّ عليه ، أو الدعوة إليه ، و كان و هو الفصيح القرشيّ، ذو البيان النّبوي ، يجادل و يناضل و ليس له إلا لسان أيّده روح القُدس ، و حقّ أوحى الله سبحانه به ، و إذا عرفنا أنّ الحجج التي كان يدلي بها برهاناً على رسالته ، و إحقاقاً لدعوته ، و كانت من ربّ العالمين، و من قرآنه العظيم ، لأنّ العرب أهل لَسانة و فصاحة و قد شهدوا بذلك ، فجاء الخطاب المحمّدي قناديل ضياء ، وسورة غضب على المخالفين حجّة بحجّة . و بهذا نعلم يقيناً كم أفادت الخطابة عموماً من الخطابة النبويّة .

وخير مثال على ذلك **خطبة الرسول – عليه الصلاة و السلام – في حجّة الوداع :**

فالرّسول الكريم – صلى الله عليه وسلّم – تخلّى عن أبّهة العبارة الجاهليّة الفضفاضة، الذّاهبة إثر اللفظ الكثير الجلبة،، وعمَدَ إلى التعبير المباشر . فأخضع العبارة الخطابيّة لضرورة الإفصاح و التّوضيح العاريين المباشرين ، و أدناهما في بعض الفقرات، إلى ما يشبه الحديث العلمي الذي لم يكن معروفاً آنذاك .

---

[18] الخطابة و المنهج ، فايز ترحيني ، دار النخيل للنشر _ بيروت ١٩٩٢ .
[19] الخطابة أصولها وتاريخها ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي بالقاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ٨١

و على العموم فخطابة الرّسول كانت التزاميّة إيجابيّة ثوريّة ، يغلب فيها الموضوع على الأسلوب دون أن يُقصّر بلفظ ، أو أن تهنْ له عبارة ، و كأنّ اللفظ و المعنى خُلقا معاً، فــلا يمكن التفاضل بينهما . لذلك قال الجاحظ : " لم يسمع النّاس بكلام أعمّ نفعاً ، و لا أقصد لفظًا، و لا أعدل وزناً ، و لا أجمل مذهباً ، و لا أكرم مطلباً ، و لا أحــسن موقعــاً ، و لا أســهل مخرجاً ، و لا أفصح معنىً ، و لا أبينَ في الفحوى من كلامه (صلّى الله عليه و سلّم) .

و هكذا فالرّسول الكريم– صلى الله عليه وسلّم – لم يكن يُعْرَف قبل البعثــة ببلاغــة الكَلِم، و فصاحة القول ، و أصبح بعدها مع الإسلام راجح العقل ، موسوعيّ الفكر ، منهجيّاً و منطقيّاً إلى حدّ ، قويّ الحجّة ، عميق الرأي . و امتاز أسلوبه بالمتانة ، و كلمه بالبلاغة ، و قوله بالفصاحة ، و لفظه بالجزالة، و العفويّة و الموسيقيّة المنسجمة مع كلّ مقال . و لا عجب في ذلك فهو صاحب الرّسالة، و أمينها، وواعي وحيها، و حافظ قرآنها و شــارحه ، و فقيــه المسلمين و مرشدهم، و مخلّصهم من مآثر الجاهليّة ، و عاداتها و تقاليدها .
ولا يتسع المقال لذكر لخطبة علي بن أبي طالب في الجهاد لأنها من النمــاذج التــي تــربط الخطب الشفاهية بعلم النفس والعلوم الأخرى ، فخطابته – رضي الله عنه – لم تكن تــصدر عنه بمثل هذا العمق، والوعي، والفهم ، لو لم يكن متعمقاً بدراسة نفسية البشر ، ملمّاً بفنــون الحرب والقتال ، متمثلاً للقرآن الكريم، عارفاً بأحكامه، مدركاً لتعاليمه ، مالكــا لأســاليبه ، مستمداً أفكاره من القرآن، متأثراً بمعجميته، متبعًا لسنة الحديث، مستشفّاً بلاغة سابقية، وهــذا ما سأحاول الإشارة إليه الآن .

فهذه الخطبة شأن خطب الإمام جميعاً، متمثلةً للإسلام وممثلة معجميته، فعبارة "لباس التقوى" لعلها مستمدة من الآية الكريمة : " قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ، وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى " وكلمة جنته الواردة في استعماله : " جنته الوثيقة " مستقاة من الآية الكريمة :
" اتَّخَذُوآ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " والأسداد التي وردت في بعض النسخ مأخوذة من قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَ مِــنْ خَلْفِهِــمْ سَــدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ " . و أمّا تعبير " أديل الحقّ منه بتضييع الجهاد " . فلفظة أديــل مأخوذة من معنى القرآن الكريم : " وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ " . و الباء في لفظة " تضيع " هي للسببيّة ، و المراد ذهب الحقّ منه لأجل تضييع الجهاد .

و هي كقوله تعالى : " ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ " . أي لأجل بغيهم أو بسبب بغيهم ، وليست الباء كالباءات المتقدّمة " بالصغار " و " بالأسداد " أو " الأسهاب " المراد فيها أنّها جعلته ذليلاً مهاناً .والذلّ و المهانة تقف سدّاً بين المرء و بين البصيرة، و العقل الواعي، و

الرشاد، إلى ما فيه خير الإنسان في الدّنيا و الآخرة . و أمّا تعبير " الاسترجاع و الاسترحام " فهو مستمدّ من قوله تعالى : " إنّا للهِ وَ إِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ " ١٥٦ البقرة.

وأمّا معنى الجهاد المهيمن على جوّ الخطبة تصريحاً و تلميحاً ، والذي مسح الأسلوب بمسحة " الهدوء – الانفعالي " إذا جاز التعبير ، فهو مستمدّ من أكثر من أربعين آية تناولت معنى الجهاد أذكر منها : " وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ". و " وَفَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً " ٩٥ النساء ، و قوله تعالى : " انْفِرُوا خِفَافاً وَ ثِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ " ٤١ التوبة .

و أمّا تأثّر أسلوب ابن أبي طالب بالحديث الشريف ، فواضح أيضاً في ألفاظ الخطبة
و تعابيرها، فلفظة " قُلُبها " هي كاللفظة المأخوذة من حديث عائشة : إنّ الرسول الكريم صلى الله عليه وسلّم رأى في يدها قُلُبين . و المقصود بها الزّينة ، و لفظة الزّينة وردت في القرآن الكريم : " وَلاَ يُبْدِيْنَ زِينَتَهُنَّ إلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا " ٣١ النور. و في قوله : " فقبحاً لكم و ترحاً " أي صيّره قبيحاً مأخوذ من الحديث الشريف " لا تقبّحوا الوجه " . و معناه لا تقولوا إنّه قبيح لأنّ الله خلقه . و لكن الإمام لم يستعمله بالمعنى الجمالي بل بالمعنى النّفسي و الخلقي ، و لفظة حَمَارة فهي متّصلة بلفظة حمراء ، كما ورد في الحديث الشريف على لسان العرب :
" كنّا في حمراء القيظ على ماء شفيّة " و لفظة " يُسَبّخ " مستمدّة من حديث الرسول لعائشة – رضي الله عنها – عندما سرق سارق شيئاً من منزلها فدعت عليه ، فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلّم : " لا تسبخي عنه بدعائك عليه " أي لا تخفّفي عنه إثمه .

و أمّا تأثّره بالشعر، و الأدب، و كلام العرب، و تأثيره باللاحقين، فهو لا يحتـاج إلـى كثير من الجهد و النّصب . فتعبير " وسِيْمَ الخسفُ " مستمدّ من تعبير العرب " سامه خَـسْفاً " إذا أولاه ذلاً . هكذا ورد في تاج العروس و غيره .

وهكذا نجد أن ابن أبي طالب يستحثّ أتباعه و أنصاره على الجهاد، فيستميلهم مرغّباً بـأن الجهاد باب يلجه خاصة الأولياء إلى الجنة ، ومرهباً بالذل، والـبلاء، والـصغار، والقمـاءة ،غايته دائماً التأثير بأنهم على حق وأعداءهم على باطل ، وهدفه الأساس، الإقنـاع بأحقيـة جهادهم في سبيل الله ، مستخدماً الوسائل النفسية والفكرية والمنطقية ، منتقلاً من العـام إلـى الخاص ، ومن الحكم الإجمالي

إلى التفاصيل التمثيلية الدقيقة ، مستخدماً معجمية القرآن الكريم، ومتمـثلاً تعـاليم الإسـلام ومبادئه وأفكاره ، ومتأثراً بالحديث الشريف، ألفاظا ،ومعاني، وصوراً، ومستمداً بعض ألفاظه من الشعر العربي الأصيل ، ومؤثراً باللاحقين .

فخطابة ابن أبي طالب، سواء أكانت دينية، أم عسكرية، أم سياسية، ارتجالية أم معدّة ، فإنهـا تصدر كافة عن فكر ثاقب، وعقل نيِّر، ومنطق سديد، مستلهمًا فيها معجمية القرآن، وألفاظه، وصوره، وبلاغته وبيانه ، ومتمثلا الإسلام ومبادئه وأفكاره بعمق ووعي وإدراك لم يسبقه فيه أحد من غير الملهمين . لذلك يمكن القول أنه إمام البلغاء ، إذ إنّ البلاغة رافقته في مواقفـه جميعاً، حتى الإرتجالية منها . وهو سريع البديهة إلى حد بعيد ، لا تقف في وجهه شـدّة ولا يعجزه مأزق حرج .

وابن أبي طالب لا يتوسل إلى الإقناع بوسائل طبيعية فنية ، بلاغته هي نتيجة عقل نير بعيـد الأغوار ،وثقافة دينية استقاها في أثناء صحبته للرسول ، ومنطق سديد رافق الفطرة ، ولسان ذرب تمرس على أساليب القرآن ، وعاطفة صادقة غذتها العقيدة الإيمانية والاستقامة الفطرية وفكر ثاقب غذّاه التأمل، ونمّاه النظر الطويل – العميق إلى الله وعجائب مخلوقاته ، وخيال هو خيال الأديب اللامع الذي يخرج الأفكار مهما كانت عميقة ، في روعة من الرونق والجمال .

وهكذا يغزو الإمام السامع بتقواه واقتناعه ، لأنه شديد الإقتناع بما يقول وبلمحه الشديد للحقيقة في قوتها، وتسلسل أجزائها، وسمو رفعتها ، وبحجتــه التــي تقــرع ولا تقبــل ردّاً، وشخصيته الحكيمة الآمرة ، وانضباطه على انفعاليته، وتفاعله مع الموضــوع، والــسامع ، وإخلاصه لموضوعه وسامعيه ، وبتصويره الذي يجمع إلى الروعة واقعيةً ودقةً، وبمراعاتــه لمقتضى الحال . إذ يشتد كلامه في مواضع الشدة ، فيحتدم ويتقاذف جملاً قــصيرة محكمــة السبك ، حافلة بالتشديد والتأكيد ، وبلين في مواضع اللين، فينساب انسياباً هادئاً .

وكأنه انطلق في أجواء الروح ، وتعالى عن صخب العالم في اندفاق من العاطفة دائم الاتزان والانضباط ، ثم بجرأة تطلعه إلى الموت ،وعالم القبور ، وحقيقة الدنيا ،وواقــع مــا فيها، مما يكسب كلامه سيطرة غريبة قلّما عرفت لغيرة من خطباء العرب .

يخاطب ابن أبي طالب سامعيه فيبعث فيهم التطلع إلى الحقيقة بقوة ، والانقيــاد لهــا بلــين ، ويمكنها فيهم بعاطفة نفسه ، ورهبة الواقع التي تنتشر في أجواء الخطبة ، ثم بــالحجج التــي يدعمها بالشواهد والاستدارات الوصفية ، والإيجاز الصاعق .ذلك الإيجاز الإيحــائي الحافــل بالوضوح والدقة . وبعد كل ذلك بالبيان الساحر الذي جمع صفاء الجاهلية والإسلام، ومتانــة التعبير، وموسيقى اللفظة التي تظل طبيعية مهما احتشد في العبارة من سجعٍ وتوازن.

وهكذا امتازت خطابة ابن أبي طالب بصراحة المعنى وبلاغة الأداء وسلامة الذوق ، فقال في إحدى خطبه : "ألا وإن اليوم المضمار ، وغداً السباق ، والسبقة الجنة ، والغاية النار " ففي تعبيره تجد لفظاً فخماً ، ومعنى عظيم القدر وتمثيلاً صادقاً، وتشبيهاً واقعياً . وتجد إلى جانب ذلك سراً عجيباً، ومعنى لطيفاً يتمثل في قوله " والسبقة الجنة والغاية النار" فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ، فلم يقل السبقة النار ، كما قال " السبقة الجنة " لأن الإستباق إنما يكون إلى أمر محبوب،

وغرضٍ مطلوبٍ مرجوٍ، في حين أن الغاية هنا ينتهي إليها من لا يرجو الإستباق إلى الجنة. والذي يعجبك في خطابة الإمام تصرفه العجيب بوجوه الكلام، فترى الفكرة عنده تشن على اللفظة هجوماً، وتتلبسها تلبساً ، فتنقاد اللفظة انقياداً، تلك اللفظة الــصحيحة التركيــب ، الدقيقة الأداء للمعنى ، الرائعة الانطلاق ، الملتوية في لين وانسياب . ويعجبك أيضاً تنقله من

أسلوب إلى أسلوب .... من إخبارٍ إلى استفهام ،إلى تعجبٍ فنداء . ممـا يأسـر القلـوب، ويستولي على النفوس، يقول :" أما بعد: يا أهل العراق ...ولقد بلغني أنكم تقولون : يكذب ؟ قاتلكم الله؟ فعلى من أكذب ؟ أعلى الله ؟ وأنا أول من آمن به أم على نبيه ؟ وأنـا أول مـن صدقه ؟ كلا والله لكنها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها ". ويعجبك أيضاً تدرجـه فـي استشارة العواطف ، فهو يطّور الفكرة والصورة، حتى يبلغ قمة الانفجار ، مستعيناً بصورٍ من الواقع والمحسوس ، وأمثلة ذلك كثيرة جداً في خطبه، ولئن وجد في أقواله بعض التكـرار ، فما ذلك إلا من قبيل التقرير للمعنى مما يزيد أسلوبه الخطابي بلاغة .

وعلي بن أبي طالب أول من جمع في الخطبة الواحدة بين الدين والـسياسة; تحقيقـاً لغرض عسكري، إذ كان هدفه إقناع جنده بصحة عقائده . لهذا كانت خطبه ترتكز على قـيم العقيدة الإسلامية ، فيورد فيها الآيات القلرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة ، والشعر العربـي أحياناً . في محاولة لإضرام نار الحماسة في صدور جنوده . فيصورهم جند الحق يـذودون عن الدين ، وبالرغم من ذلك يتخاذلون . وخصومه ولا سيما جند معاوية، جند الباطل، ومـع ذلك يستميتون . أسلوبه في خطابته جميعاً أسلوب تعبيري ، متين، موقع الفواصل محكمهـا ، مقتضب العبارة ، متدافع الألفاظ، والصور، والمعاني ، وأسلوبه كذلك مـشتق مـن أسـلوب القرآن الكريم ، مستقى من معانيه ومذاهبه البلاغية ، محذو حذوه ، مسلوك به منهجه.

واستمرت الخطابة الدينية جذعة قوية من خلال الأحزاب المناوئة للحكـام و إثبـات الحـق الشرعي بسوق الأدلة والأسانيد المؤيدة لوجهة النظر في الـصراع القـائم بـين الأطـراف المتنازعة كالعلويين والعباسيين ، ونسوق شطرًا من خطبة خطبة أبي العباس السَّفَّاح بالكوفـة عقب مبايعته بالخلافة :

" الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمه، وشرّفه وعظّمه،واختاره لنا، وأيّده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه، والقوّام به والذابّين عنه، والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى، وجعلنـا أحقّ بها وأهلها. وخصّنا برحم رسول الله وقرابته: أنشأنا من آبائه، وأنبتنـا مـن شـجرته، واشتقّنا من نبعته . جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا، حريصاً علينا بـالمؤمنين رءوفـاً رحيماً، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يُتلى فقال عزّ من قائل فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ ٣٣ الأحزاب، و قال: ﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا المَـوَدَّةَ فِـي**

الْقُرْبَى ﴾ ٢٣ الشورى، و قال: ﴿ **مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى** ﴾ ٧ الحشر ، وقال: ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ ٤١الأنفال. فأعلمهم جلّ ثناؤه فضلنا ، و أوجب عليهم حقّنا و مودّتنا ، و أجزل من الفيء و الغنيمة نصيبنا ، تكرمة لنا و فضلاً علينا . و الله ذو الفضل العظيم.

وزعمت السبئية الضُّلال أن غيرنا أحقّ بالرياسة و السياسة والخلافة منا. فشاهت وجوههم ! بم و لم أيّها الناس؟ وبنا هدى الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحقّ ودحض الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة الدنيئة، وأتمّ بنا النقيصة، وجمع الفرقة، حتّى عاد النّاس بعد العداوة أهل تعاطف وبُرْء ، و مواساة في دينهم و دنياهم ، و إخواناً على سرر متقابلين في آخرتهم . فتح الله ذلك مِنَّة و منحة لمحمّد – صلّى الله عليه و سلّم–، فلمّا قبضه الله إليه قام بذلك الأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم فحووا مواريث الأمم، فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها وخرجوا خماصاً منها . ثمّ وثب بنو حرب و مروان ، فابْتَزُّوها، وتداولوها بينهم ، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها ،فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه . فلمّا آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقّنا ، وتدارك بنا أمتنا، وولّى نصرنا، والقيام بأمرنا ، لِيَمُنَّ بنا على الذين استُضعِفوا في الأرض . و ختم بنا كما افتتح بنا .

و إنّي لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير ، و لا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، و ما توفيقنا – أهل البيت – إلا بالله . يا أهل الكوفة ، أنتم محلّ محبتنا و منزل مودّتنا . أنتم الذين لم تتغيّروا عن ذلك ، و لم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم ، حتّى أدركتم زماننا و أتاكم الله بدولتنا ، فأنتم أسعد النّاس بنا ، و أكرمهم علينا ، و قد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم فاستعدّوا ، فأنا السّفاح المبيح و الثائر المبيد " [٢٠].

وكان الكثير من الخطباء يسربلون خطبهم السياسية ويوشحونها بالسمت الديني ، رغم أن أفعالهم لا تنبي عن ذلك ، وقد غلبت هذه الظاهرة على الكثيرين من قواد الجند وحكام الأقاليم لمعرفتهم الأكيدة أن الخطاب الديني الشفاهي يدخل القلوب بلا استئذان .

[20] جمهرة خطب العرب ، أحمد زكي صفوت ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٣م ، ج٣

الخطابة الدينية ... إلى أيـــن؟

ظلّت الخطابة الدينية قوية مزدهرة ، حتى أواخر الدولة العباسـية حيـث كـان الإسلام في ريعان الشباب وعنفوان الصبا ، فلما ضعُفت دولـة الإسـلام آنـذاك وهزلت لغته ، وغربت شمس علومه ومعارفه ، ضعفت الخطابة الدينية تبعًا لذلك ، وبقيت بعد ذلك أشكالاً ورموزًا لا حياة فيها ، ولا هدف لها ، اللهم إلا الاحتفاظ بالرسوم والطقوس ، وظلّت في انحدار حتى أضحت وظيفةً صناعيةً ، وعملية آلية ، فوضعت لها الكتب ، وأُلِّفت لها الدواوين ، كانت خطبًا بعيدة عن قولـة الحـق فتمُجُّها الطباع السليمة ، وهي مع ذلك لم تتناول إلا الدنيا وأطماعهـا ، والـشيب وخطورته ، والموت ومرارته ، والحساب وشدّته ، والـصراط ودقّتـه ، والنـار وعذابها ، والجنّة ونعيمها ، سواء أوافق مقتـضى الحـال أم لا ، وسـواء أراق للسامعين أم لا .

أما تثقيف النفوس وتهذيب الضّمائر ، والسّمو بالأخلاق ، وتطهيـر المجتمعـات بنشر الفضيلة ، ومحاربة الرذيلة فلا .

ومن الاستحالة بمكان غرس محبة الاستشهاد في نفوس العباد ، و أمور كثيرة أعدُّ منها ولا أعدّدها!

من هنا كانت الخطابة الدينية في وادٍ و المجتمع الإسلامي في وادٍ آخر ، حتـى أصبحت الخطابة الدينية وأهلها غرباء ، يُحصى عليهم كلُّ قول ، ويُحاسبون على كلّ حرف ، غرباء في ديارهم ، إلا طائفة من العلماء تأمر الناس بـالبرّ وتنـسى نفسها ، يأمرون الناس بالقناعة والشجاعة ، وهم جبناءُ جائعون ، يأمرون بتـرك الحرير ، وهم لا يجدون الخيش ، يأمرونهم بالزهد في الـذهب وهـم لا يجـدون الخزف ، يأمرونهم بالتسامح وهم مستضعفون ، وبالتواضع وهم أذلاّءُ متكبِّرون . وتمرُّ بهؤلاء الخطباء أمور جسام .... فيدعونها وتنطلق ألسنتهم بغيبـة الفـرس والروم .

مرّ بالأقصى الشريف رجال أمثال أبي الحزم محمد بن تقي الــدين القلقــشندي ، والخطيب محبّ الدين ابن جماعة ، وأوّل خطيب بعد تحرير القدس على يد صلاح الدين الأيوبي " القاضي محيي الدين القرشي " [٢١].

الخطابة بعد نكبة ١٩٦٧م :

تصدّر المنبر الصلاحي بعد النكبة الكثير من الخطباء ، أمثال فضيلة الشيخ محمد عادل الشريف الحسيني ، وكرمة سعيد صبري ، وغيرهم من علماء فلسطين ، فلم تكن الخطابة حكرًا على أحد ، بل كانت تشمل الخريطة الفلسطينية من أدناها إلـــى أقصاها ، إلاّ أنّ ظروف التّنقّل ، وصعوبة الوصول إلى الأقصى ، وموت البعض ، ورحيل البعض الآخر إلى الأمصار البعيدة ، حال دون بقاء الخطابة الــشفاهية معتمدة على التنوع ، وسنعمد إلى إلى بعض الخطب الشفاهية من بعض الخطبـــاء لنثير التحليل الخطابي لعناصر الخطبة من المسجد الأقصى ، بعد أن اتخذت سمتًا رائعًا ما كان يقال على المنابر في الأزمان الغابرة ، وأسوق الأدلّة على ذلك ، فالخطبة كما تعوّدنا من مقدّمة ، وعرض ، وخاتمة ، ويسبق هذا كلّه حسنُ اختيار الموضوعات التي تشدّ السّامع ، وتذكي أحاسيسه ، وقد استعرضـــتُ جملـــةً مـــن الخطب لخطباء مختلفين على منبر المسجد الأقصى ، فوجـــدتُ أنّ موضـــوعات الخطب تدور حول الموضوعات الآتية:

١. تحذيرُ العرب والمسلمين من تزايد المخاطر المحيطة بالأقصى .
٢. العدوانُ على غزّة حرب إبادة جماعيّة ضدّ الشجر والحجر والإنسان .
٣. التفريطُ في أرض المسلمين خروجُ عن جماعتهم .
٤. الصمودُ في القدس من معايير قوة الإيمان .

[21] الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل / مجير الدين الحنبلي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٦م .

٥. أهلُ بيت المقدس جيران الله .

٦. القائمون في بيت المقدس مرابطون .

٧. دعوةُ المسلمين إلى شدِّ الرّحال إلى بيت المقدس ، وإعمار الأقصى .

٨. تهويدُ القدس ماضٍ في ظلّ الانقسام وتفرّق الكلمة .

٩. وجوب نصرة الأقصى المبارك .

١٠. إنقاذُ المقدّسات يمرُّ من وحدة الأمّة الإسلامية .

١١. تهويدُ مدينة القدس بتغيير مسمّياتها الإسلامية بداية نهاية أليمة .

١٢. مشاركةُ المسلمين في الانتخابات الإسرائيليّة حرامٌ شرْعًا .

١٣. الأقصى لن يتحمّل أيَّة هزّة أرضيّة للحفريّات الإسرائيليّة تحته .

١٤. عُروبة القدس وإسلاميتها تزيد من أعباء الأمة .

١٥. تدويل القدس أخطر من تهويدها .

بدايات الخطب الشفاهية في المسجد الأقصى .

تميّزت مقدّمات الخطب الشفاهيّة في المسجد الأقصى بأمور عزّ أن نجـدَها في خطب منبريّة أخرى ؛ لأنّها تتوائم وتتلائم مع طبيعة الموضوعات المطروحة في خطب الجمعة ؛ فإذا كان موضوع الخطبة في التحذير من الفتن والشرور ، وإخلاء البيوت وتركها للصهاينة ، واقتحام الأقصى نستمع إلى مقدّمات الخطيب (عكرمة صبري) يقول :

" الحمدُ لله إليه المرجع والمآل ، يغيّر العالمَ من حالٍ إلى حال ، الحمدُ للهِ ناصرِ المظلومين .... الحمدُ للهِ قاهرِ الطُّغاةِ الظّالمين .... الحمدُ للهِ قاصِمِ الجبَّارين ....

الحمدُ للهِ مُذلِّ المُتَكَبِّرين .... ، ونشهدُ أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، نصر عبده وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا شيءَ قبله و لا شيء بعده .

اللهمّ احرسنا بعينك التي لا تنام ، واحفظنا بعزِّك الذي لا يُضَام " .

ومن مقدّمة خطبة بعنوان " الوطن البديل " ، يقول الدكتور عكرمة صبري :

" أنت ربّنا ونحن عبيدك ،لا معبود سواك ، لا ركوع ولا سجود ولا تذلّل ولا ولاء إلاّ إليك ، سبحانك فأنت ملاذُ المؤمنين الصّادقين ، حافظِ المسلمين المُجاهـدين ، مُخزي المُنافِقين والعُملاءِ الخائِنينَ الخائبين ، هازمِ الكافرينَ المُعتدينَ الغاصبين . ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، نصر عبده وأعزّ جنـده ، وهـزم الأحزاب وحده " .

ومن مقدّمة خطبته عن الاستيطان في بيت المقدس ، قال :

" الحمدُ لله الذي أنعم علينا الإقامة والمُرابطة في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ....

الحمدُ للهِ الذي أكرمَ مدينة القدس بأن رفع منزلتها ، وربطها بمكة والمدينة المنورة ، كما ربطها بالسماء ، وربط المسجد الأقصى المبارك بالحرم المكـيّ والكعبـة المُشرّفة والمسجدِ النبوي " .

ومن مقدّمات خطب فضيلة الشيخ (محمد عادل الـشريف)- خطيـب المـسجد الأقصى-

وكانت بعنوان " الحثُّ على الجهاد والدعوة إلى الثّبات والصّبر ١٩٦٧/١١/٢٤م :

" الحمدُ للهِ ينصرالمُجدِّين المُجاهدِين ، الحمدُ للهِ ينفخ في الأمم من روحه فتحيا بعد موتها ، وتستيقظ بعد غفلتها ، وتقوى بعد ضعفها ، أشهد أن لا إله إلا الله الواحـد القهّار

يُؤاخذُ الجبّارين على ظلمهم ، ويُسلِّط عليهم عدوّهم ، ، حتّى يُؤخذوا من حيـثُ لا يشعرون ، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلِ الظَّالِمُونَ " [٢٢].

ومن خطبة له بعنوان " عزّة الأمة في صمودها أمام الأعداء " ١٩٦٨/٥/٣م .

---

[22] الخطب المنبرية في المسجد الأقصى / محمد عادل الشريف / ج٢ / ص١٦٢ / المطابع التعاونية ، عمان ١٩٩٩م .

" الحمدُ للهِ ذي العزّة والجلال ، الحمدُ للهِ ينـصرُ العـاملين ، ويُعـزُّ الـصّامدين الصَّابرين ،

بيده الخير وهو على كل شيئ قدير ، أشهد أن لا إله إلا الله أعـزَّ الثّـابتين ، وقهر وأذلّ العُصاة والمنافقين والمجرمين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، ما خضع ولا استكان إلا للهِ ، وما اعتزّ وما اعتصمَ إلا باللهِ ، وما النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ " [٢٣].

وبهذا نرى أنّ المقدمات الشفاهيّة تميّزت بالسّهولة والعُذوبة ، والموسيقى الإيقاعية غير المُتكلّفة من خلال بعض المُحسِّنات البديعية كالسَّجع والطِّباق .

ولو أتيح لنا الوقت لواصلنا النظر في موضوعات الخطب ، وكيفية العرض مـن خلال التبويب والترتيب والبداية بالمقدّمات المنطقيّة للوصول إلى النتـائج ، مـع قدرة بارعة على سوق الأدلّة والبراهين المؤيدة لوجهة النظر ، من خلال القـرآن الكريم ، والسنّة النبوية المطهّرة ، واستحضار تاريخ الأمم والممالك لتكون العظة والعبرة مجسمة للسامعين . كل هذه الأمور في قالب شفاهي بديع أملتـه، عاطفـة جياشة، وحقد كامن في النفوس، وإثارة لمشاعر المـسلمين ، وتخطـي الممكـن والمعقول بأعمال إجرامية لا مبرر لها سوى عجز هذه الأمة عن السعي لاسترداد كرامتها .

وأسوق في الختام نماذج من خطبة للدكتور عكرمة سعيد صبري، ونموذج آخـر لخطيب المسجد الأقصى سابقًا (فضيلة الشيخ محمد عادل الشريف) ففيهما بيـان لحال الخطابة الشفاهية للمسجد الأقصى المبارك بعد الاحتلال الإسرائيلي .

[23] المصدر السابق .

نموذج من خطبة لخطيب المسجد الأقصى / الشيخ محمد عادل الشريف بعد حرب الأيام الستة

أيها الحاكمون من ملوك ورؤساء وقادة وزعماء وأمراء، اسمحوا لي بالقول الهـــادئ ولا تغضبوا، أنا لا أقول هذا حتى يُقال جريء، ولكنها والله كلمة حق يجب أن تُقال. نعم لقــد أُمرنا الله بالسمع والطاعة لحكامنا، ولكن ما اطاعوا الله فينا. نعم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقــد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني)[1]. لكنه صـــلى الله عليه وسلم قال أيضاً في حديث آخر: (على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كــره، إلا أنْ يؤمر بمعصية، فإن أمر (الوالي) بمعصية فلا سمع ولا طاعة)[2] أخرجه الخمسة.

أيها الحكام، أيها المسؤولون:

إن طاعتكم واجبة مفروضة علينا، ولكن ما دمتم تطيعون الله فينا، ما دمتم تتقون الله فينا، وفي بلادنا وذرارينا. وهذا عمر الخليفة العادل يقول: (أطيعوني ما أطعت الله فيكم).

أين أنتم من المسجد الأقصى.؟ أين أنتم والحرم الشريف الابراهيمي. أيجوز السكوت عن مقدساتنا.؟ أيجوز أن تبقى المقدسات، التي قدسها الله في أرضه وسمائه، وفي كتبه لــدى الأمم كلها، تحت رجس الداعرين والداعرات، ودنس شباب اليهود من فتيان وفتيات.!!

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله)، وعلى هذا الأساس، فإن كل جهاد وقتال مهما تنوعت صوره وغاياته، لا يكـــون لاعلاء كلمة الله، فهو هيكل لا روح فيه، سارعوا أيها الحكام في كـــل مكـــان إلـــى نـــصرة المظلومين، والقضاء على الغاصبين، اعداء الانسانية والدين، وخصوم العدالة والحرية.

إن المؤمن بالله قوي لا يضعف، عزيز لن يذل، لا يقف في وجهه جيوش ولا جحافل، ولا تثبت أمامه قوة مهما عظمت، لأن الله معه، ومن كـــان الله معـــه فهـــو غالـــب، ولـــيس بمغلوب.[3]

---

[1] رواه الشيخان عن ابي هريرة، ولفظه: "من اطاعني فقد اطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن اطاع أميري فقد اطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني".

[2] رواه الخمسة عن ابن عمر ولفظه: السمع والطاعة فيما أحب أو كره، مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".

[3] الخطب المنبرية / محمد عادل الشريف جـ ٢، ص ١٠١ ـ عمّان

خطبة الجمعة : التحذير من الفتن والشرور // إخلاء البيوت ، اقتحام الأقصى١

الحمد لله إليه المرجع والمال ، يغير العالم من حال إلى حال . الحمد لله ناصر المظلومين ... الحمد لله قاهر الطغاة الظالمين . الحمد لله ناصر قاصم الجبارين. الحمد لله مذل المستكبرين .

ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، لا شيء قبله ولا شيء بعده . اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، واحفظنا بعزك الذي لا يضام ، واكلأنا بعنايتك في الليل والنهار في الصحاري والآجام .

ونشهد أن سيدنا وحبيبنا وقائدنا وشفيعنا محمداً عبد الله ونبيه ورسوله سيد الأنبياء والمرسلين وإمام العادلين وقدوة العاملين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين المبجلين وصحابته الغر الميامين المحجّلين ، ومن تبعهم وخطا وربهم واستن سنتهم واقتفى اثرهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد فقد روي الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم. قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : نعم : وفيه وخن .

قلت : وما وخنه ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر . قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوا فيها . قلت : يا رسول الله صفهم لنا .

قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا !! قلت : فما تأمرني إن إدركني ذلك ؟

قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك " . متفق عليه رواه أبي البخاري ومسلم والترمذي .

أيها المسلمون إن راوي هذا الحديث النبوي الشريف هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان العبسي رضي الله عنه ، وهو معروف بين الصحابة بأنه صاحب سر الرسول صلى الله عليه وسلم . وإن هذا الصحابي الجليل لم يكن يقنع من هذا الدين العظيم بالسؤال عن أمور الهدى والرشاد بل تعداه إلى السؤال عن أمور تهم المسلمين من مواطن الشر والفتن بهدف اجتنابها وعدم الوقوع فيها ، وليأخذوا حذرهم منها . فكان الصحابي حذيفة رضي الله عنه يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنافقين وأسمائهم وأوصافهم وعن أشراط وعلامات الفتن والفتانين .

وكان (عليه الصلاة والسلام) يجيبه عن أسئلته واستفساراته حتى أصبح مرجعاً للصحابة جميعهم في هذه الأمور .

أيها المسلمون في هذا الحديث النبوي الشريف يخبرنا الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه جانباً من جوانب اختصاصه بمعرفة بعض علامات الفتن واشراط الساعة فيقول : كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني .

فيجيبه (عليه الصلاة والسلام) في نهاية هذا الحديث بأن سيقع في المسلمين شر بعد الخير ، وأن دعاة هذا الشر ، ليسوا من الغربيين ولا من الشرقيين ، إنهم من العرب لقوله عليه الصلاة والسلام " ... هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا " أي سيخرج من العرب دعاة للصلاة والفتن والابتعاد عن الكتاب والسنة ، وأن الذين يسيرون وراءهم سيكون مصيرهم إلى جهنم وبئس المصير .

أيها المسلمون إن هذه الفتن لم تقع في عهد الصحابي حذيفة رضي الله عنه ، ولكن نحن المسلمين في هذه الأيام قد ادركناها ونكتوي بناءها فنسأل الله عز وجل السلامة في النيا والآخرة ، ونسأل الله العلي القدير أن يثبتنا على الإيمان، وأن يثبتنا على مرابطتنا في أرض الإسراء والمعراج .

ونسأله سبحانه وتعالى يجنبنا الفتن والفواحش ما ظهر منها زما بطن . أيها المسلمون هناك حديث نبوي شريف آخر يؤكد أنه سيخرج من العرب من يحاربون الإسلام ويقتلون المسلمين وينشرون الفسوق والفجور والفساد في البلاد فقد روت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها – من حديث مطول – بأن النبي صلى اله عليه وسلم دخل عليها فزعاً وهو يقول " ويل للعرب من شر قد اقترب .

فقلت: " يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث " (متفق عليه) رواه البخاري ومسلم أيضاً . وهذا الحديث النبوي الشريف يعد من دلائل النبوة حيث أشار عليه الصلاة والسلام عن أمور مغيبة ستحصل .

وفعلاً قد حصلت فيما بين المسلمين ، ورغم التحذيرات المتعددة من رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم إلا أن المسلمين في هذه الأيام لم يلتفتوا إليها ووقعوا في المحاذير من الخلافات والمنازعات ومن الابتعاد عن القرآن الكريم والسنة النبوية وعدم الالتزام بالأحكام الشرعية ، بالإضافة إلى أن الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي تسير في ركاب الغرب والتبعية له فهي تقود الأمة إلى الهلاك والضياع .

أيها المسلمون نعم ، إن رسولنا الأكرم محمداً صلى اله عليه وسلم قال : " إذا كثر الخبث " وهذا مصداق لقوله عز وجل " واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ، واعلموا أن الله شديد العقاب " . سورة الأنفال الآية ٢٥ .

أيها المسلمون لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق المسلمين في هذه الأيام بقوله " يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الآكلة إلى قصعتها .
فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن .
قال قائل : يا رسول الله ، وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت " . رواه أبو داود في سننه والبيهقي في دلائل النبوة وهو حديث صحيح . عن الصحابي الجليل ثوبان بجدد (أبو عبد الله) رضي الله عنه .
نعم ، إن عدد المسلمين في هذه الأيام مليار نصف المليار !! أيها المسلمون يقول (عليه الصلاة والسلام) بحق المسلمين في هذه الأيام أيضاً ما من ثلاثة من قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليه الشيطان .

فعليكم بالجماعة وإياكم والتفرقة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية " . رواه أحمد وأبو داود والنسائي وإسناده حسن وصححه النووي عن الصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه .

أيها المسلمون إن المراد بالقاصية أي الغنمة الواحدة البعيدة عن قطيع الغنم فإن الذئب يتجرأ ويفترسها بمفردها وهكذا الدول والكيانات العربية المتفرقة في هذه الأيام فإن الاستعمار يقتنصها الواحدة تلو الأخرى ، ويطبعها حسب مخططات الاستعمارية. أيها المسلمون لقد حذر القرآن الكريم من الفتن ومن الظلم ووصف المشاركين فيها بالمفسدين فيقول سبحانه وتعالى " وإذا قيل لهم : لا تفسدوا في الأرض . قالوا : إنما نحن مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون " . سورة البقرة الآيتان ١١ و ١٢ .
أي لا يشعرون بأن أوراقهم مكشوفة ومفضوحة لجميع الناس . ويقول عز وجل في سورة هود " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن آخذه أليم شديد "

الآية ١٠٣ . أيها المسلمون يقول رب العالمين " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " سورة الرعد الآية ١٢ .

أما آن للشعوب الإسلامية أن تغير ما في نفوسها ؟ ! أما آن لها أن تفيق من غفوتها ؟ ! أما آن لها أن تخرج من عزلتها ؟ ! ألا يوجد فيهم من يقول للظالم : يا ظالم ؟ ! ألا ترضى اخي المسلم أن تكون في منزلة الصحابي الجليل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فيقول عليه الصلاة والسلام " سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقفله " .

أخرجه الحاكم في المستدرك عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، والحديث صحيح الإسناد . اللهم اجعلنا دعاة من دعاة الحق والصدق . اللهم انصر قولة الحق والصدق .

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة فيا فزو المستغفرين . الخطبة الثانية الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي الأمين وعلى آله الطاهرين وصحابته الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم . وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، في العالمين إنك حميد مجيد .

أيها المصلون قبل أن أبدأ بالخطبة الثانية فإني إذ أضم صوتي الى وثيقة الشرف التي تتعلق بكبار السن وبالآباء والأمهات بوجوب الإحسان اليهم وعم إلحاق الأذى بهم وعدم اسعمال العنف ضدهم ، ورسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم يقول " ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمه حقه".

أخرجه الطبراني بإسناد حسن عن الصحابيين الجليلين عبادة بن الصامت وأبي أمامة .

أيها المصلون – يا أبناء أرض الإسراء والمعراج / الباهلي رضي الله عنهما.

أتناول في هذه الخطبة موضوعية اثنين مهمين خطيرين قديمين جديدين ، هما :

أولاً إخلاء البيوت من أصحابها العرب الشرعيين : هذا الموضوع قديم جديد ، ولكن لم تشهد مدينة القدس المحتلة حملة شرسة كمثل هذه الحملة في هذه الأيام ، إنها حملة عنصرين ، إنها حملة تتم عن تطهير عرقي ، وذلك منذ أن تولى الرئيس الجديد لبلدية القدس الإسرائيلية فقد فتح المعركة على مصراعيها فأصدر قرارات جائرة بهدم عشرات البيوت وإخلاء سكانها العرب منها حيث طالت هذه القرارات إحياء الشيخ جراح وحي البستان والعباسية بسلوان وبيت حنينا وغيرها من أحياء المقدسيين .

وخلال هذا الأسبوع تم طرد وتشريد سبعين نفراً من بيوتهم في حي الشيخ جراح بالقدس وأصبحوا يفترشون الأرض ويلتحفون السماء . انها من المنجزات العنصرية اللاإنسانية لرئيس البلدية الجديد الذي أعد نفسه لها بدلاً من أن يقيم المدارس التي يفتقر اليها المواطنون في مدينة القدس .

إن هذه الاجراءات التعسفية العدوانية تأخذ الطابع السياسي التهويدي لتصبح نسبة العرب بالقدس الأقلية في حين يجلب الاحتلال المستوطنين الى القدس لتصبح نسبتهم فيها الأغلبية .

أيها المصلون – يا أبناء بيت المقدس وأكناف بيت المقدس: إننا إذ نخاطب أصحاب البيوت المهددة بالإخلاء وبالهدم أن يقفوا وقفة إيمانية خالصة لله الواحد الأحد للعلي القدير لرب السموات والأرضيين فمن كان مع الله فإن الله معه ولن يتخلى عنه .

ونقول لكل مواطن في هذه المدينة : اشدد عضدك بأخيك . ولا تفسحوا مجالاً لشياطين الإنس أن يدخلوا بينكم فهذه الأرض المباركة لا تحتمل الخبث بل تكشفه وتلفظه ، وأن ثواب المرابط فيها كثواب المجاهد في سبيل الله .

ونؤكد على الفتوى الشرعية التي أصدرناها مؤخراً بأنه يحرم أخذ أي تعويض عن البيوت المهددة بالهدم والإخلاء لأن أخذ التعويض هو بمثابة البيع ، والبيع كما معلوم حرام شرعاً قطعاً ، بل هو كبيرة من الكبائر ، وإن الذي يرتكبه يخرج من

الله . أيها المصلون – يا أبناء أرض الإسراء والمعراج ٢– ثانياً : المسجد الأقصى المبارك : إن هذا المسجد حاضر في قلوبنا وعقولنا وفي أحاسيسنا ومشاعرنا بشكل دائم ومستمر كيف لا وهو مرتبط بعقيدنا وإيماننا .

وهو الآن معرض للأخطار والانتهاكات أكثر من أي وقت مضى، وذلك بدخول المتطرفين اليهود إلى باحاته فإن دخولهم لأمر منكر وتدنيس له واعتداء عليه ، إنهم يحلمون ببناء هيكلهم المزعوم ، وإن المحسن لهذا الهيكل يعبر عن نواياهم الخبيثة التآمرية العدوانية .

ونحن إذ نطالب المسلمين بشكل مستمر لشد الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك للصلاة فيه ولحمايته وللمحافظة عليه ، مؤكدين بأن الأقصى للمسلمين ورسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم يقول " لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى " أخرجه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وابن ماجة والنسائي عن الصحابيين الجليلين أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما .

فهل الدعوة إلى شد الرحال تشكل تهمة حسب القوانين الإسرائيلية ؟ ! مؤكدين أيضاً بأن الأقصى فوق القوانين وفوق المحاكم وهو أسمى من أن يخضع لأي قانون أو أي محكمة إسرائيلية .

وفي هذا المقام نحيي الإخوة المصلين المسلمين الذين لبّوا النداء ورابطوا في المسجد الأقصى يوم الخميس الماضي (٣٠ / ٧ / ٢٠٠٩ م) كما نحيي المعلمين والمعلمات والمشرفين على المخيمات الصيفية الذين يربطون الفتيان والفتيات بالمسجد الأقصى المبارك فهو الأمانة الغالية التي يجب أن تنتقل إلى الأجيال الصاعدة.

فلا تنازل عن ذرة تراب منك يا أقصى ، وحماك الله يا أقصى .

اللهم احم المسجد الأقصى من كل سوء . اللهم آمنا في أوطاننا وفرج الكرب عنا . اللهم اجعل الأمة الإسلامية في كفالتك واهدها للعمل في بكتابك . اللهم ارحم

شهدائنا ، وشاف جرحانا . وأطلق سراح أسرانا . اللهم هيّء من يوحد المسلمين ويحذو حذو صلاح الدين .

اللهم يا الله يا أمل الحائرين ويا ناصر المستضعفين ندعوك بكل اليقين إعلاء شأن كلمة المسلمين بالحق والنصر المبين .

اللهم إنا نسألك توبة نصوحا: توبة قبل الممات وراحة عند الممات ورحمة ومغفرة بعد الممات .

اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأعل بفضلك كلمة الحق والدين .

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الإحياء منهم والأموات ." وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون " . سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

٧ / ٨ / ٢٠٠٩ م د.عكرمة صبري .

http://ekrimasabri.net/index.php?option=com_content&task=view&id=272&Itemid=3

6 موقع الشيخ الدكتور عكرمة صبري .

المراجع

(١) الخطابة لأرسطو	ترجمة عبدالرحمن بدوي	دار الرشيد للنشر-بغداد ١٩٨٠
(٢) الخطابة أصولها-تاريخها	محمد أبو زهرة	دار الفكر العربي-القاهرة ١٩٣٤
(٣) ابن رشـــد	تلخيص الخطابة تحقيق عبد الرحمن البدوي	دار العلم - بيروت
(٤) فن الخطابة	أحمد الحوفي	دارالفكر العربي ط٣ القاهرة١٩٦٣
(٥) جمهرة خطب العرب	أحمد زكي صفوت	مصطفى البابي الحلبي القاهرة، ١٩٣٣
(٦) فن الخطابة	انطوان القوّال	دار العلم للملايين -بيروت ١٩٩٦
(٧) فن الخطابة	ديل كارنيجي	الأهلية للنشر- عمّان ٢٠٠١
(٨) الخطابة والخطيب	محمد سمير الشاوي	دار العصماء- دمشق ٢٠٠٤
(٩) بلاغة الخطاب وعلم النص	صلاح فضل	مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٦
(١٠) الخطابة والمنهج	فايز ترحيني	دار النخيل للطباعة والنشر-بيروت ١٩٩٢
(١١) فن الخطابة وإعداد الخطيب	علي محفوظ	دار الاعتصام - القاهرة ١٩٨٤
(١٢) فن الإلقاء العربي	فاروق سعد	الشركة العالمية للكتاب - بيروت ١٩٨٧
(١٣) فن الإلقاء الرائع	طارق سويدان	الإبداع الفكري - الكويت ٢٠٠٤
(١٤) لغة الحوار في القرآن الكريم	فوز سهيل نزال	الجوهرة للنشر - عمّان ٢٠٠٣
(١٥) أدب الحوار	عبد العزيز الخياط	وزارة الشباب-الأردن ١٩٩٥
(١٦) مناهج البحث وأداب الحوار والمناظرة	فرج الله عبد الباري	دار الآفاق العربية-القاهرة ٢٠٠٤